تاريخ الاستلام: 2016/03/15 -تاريخ التحكيم: 2016/11/23 -تاريخ النشر2016/12/30

دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري

د.رضوان شافو

أ.محمد بوسعدة

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- (الجزائر)

ملخص:

تتناول هذه الدراسة دور المجتمع المزابي في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري، حيث عرف المجتمع المزابي مثل باقي المجتمع الجزائري، نشاطا ثقافيا وفكريا معتبرا، فقد أنشأ المزابيون كتاتيب وحلقات علمية ومدارس، وبرز منهم مجموعة كبيرة من العلماء والمثقفين الكبار الذين تركوا آثارهم واضحة، دليلا على نشاطهم العلمي والفكري، وذلك من خلال ما قاموا به من تخريج لدفعات من الطلبة والتلاميذ وإنشاء المكتبات والقيام برحلات كثيرة، وقد أثمرت هذه الحركية الثقافية في إرسال بعثات من الطلبة إلى الحواضر العلمية خارج مزاب للاستزادة في العلوم والمعارف، الشيء الذي مكن منطقة مزاب من مضاهاة الحواضر الجزائرية الأخرى في مجال العلم والثقافة.

الكلمات المفتاحية: مزاب ،ميزاب ، الحياة الثقافية، الجنوب الجزائري ،المجتمع المزابي، غرداية

Abstract:

This study is about the role that the Mozabite society played in enhancing cultural movement in southern Algeria. The Mozabites were known for their significant cultural and intellectual activity. They founded schools from which many students graduated. Some of them continued their studies outside the M'zab valley. This community is also famous for its renowned scholars and great intellectuals who left important works. They also created many important libraries. This put M'zab on the list of the important cultural sites in Algeria.

Key words: M'zab – Mizb – Cultural life in Algeria – Culture in southern Algeria , Culture and thought in Ghardaia ,Cultural status in the M'zab society.

مقدمة: تعد الحياة الثقافية والفكرية من المجالات التي اهتم بها المؤرخون وتعمقوا البحث فيها، لما من دور أساسي في صناعة الحركة التاريخية للشعوب والأمم، ومرجعا أساسيا لإثبات هويتها وأصولها ووسيلة لفهم مستوى التطور والرقي الحضاري، ولذلك فإن الثقافة كما يفسرها مالك بن نبي، أنها:" محيط يحيط بالمجتمع وإطار يتحرك بداخله، فهو يغذي جنين الحضارة في أحشائه، إنها الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وهي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه..."[1]. (بن نبي، م. 2000م: 77).

يعد مجال الحياة الثقافية في منطقة مزاب العصر الحديث والمعاصر من أبرز المحاور التي تعتمد عليها الدراسات التاريخية في دراستها للمجتمع المزابي لمعرفة جذور التاريخية، الاجتماعية والدينية والسياسية، ومعرفة المتغيرات في هذه المجالات، والعوامل والأسباب التي كانت داعيا إلى هذا التغيير، وأبرز نتائج هذا التغيير في الحركة التاريخية للمجتمع، خاصة إذا علمنا أن منطقة مزاب كانت في الفترة الوسيطة والحديثة، خاضعة لنظام حلقة العزابة التي تولت تسيير الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية بشكل ظاهر وجلي.

يعد المجتمع الجزائري بمختلف أصوله وشرائحه الاجتماعية، من المجتمعات التي ساهمت في الحياة الثقافية والفكرية من خلال جهودها العلمية والفكرية في الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة، ومن إحدى شرائحه الاجتماعية، المجتمع المزابي الذي ينحدر من منطقة مزاب أحد أبرز المدن الجزائرية التي برز إشعاعها العلمي والحضاري في الفترة الحديثة والمعاصرة، وموطنا يحوي عددا كبيرا من الشيوخ والعلماء، خلال هذه الفترة، فقد ساهمت منطقة مزاب في الحياة الثقافية الجزائرية وفق خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والدينية.

فلقد شهدت منطقة مزاب ظهور علماء ومشايخ أكفاء ونساخا كثيرين، ساهموا بقسط وافر في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية بالمنطقة، كما ظهر خلال هذه الفترة طلبة وتلاميذ اهتموا بالعلم وقصدوا رواده، وواصلوا المسيرة العلمية والثقافية بعد شيوخهم وأساتذتهم، وقد ازدهرت حركة التأليف والنسخ بالمنطقة، فتعددت المكتبات التي تجمع في رفوفها المؤلفات والمنسوخات كل على حسب تخصصها واهتمامها، وقد أدى هذا إلى انتشار العلوم الدينية وبروز بعض العلوم الدنيوية[2]. (بوراس، ي. 2013م: 96 ـ 97).

كما أوفدت منطقة مزاب بعثات علميات إلى خارج مزاب للاستزادة في العلم والنبوغ فيه أكثر، والاستزادة في العلوم العقلية، وكان ذلك في الفترتين التاريخيتين الحديثة والمعاصرة، وقد شهدت هذه الحركة

نشاطا كبيرا في الفترة المعاصرة، وذلك في إطار ما سمي بالبعثات العلمية الزيتونية[3]. (دبوز، م.2013: 117/3).

لقد كان للمجتمع دورا في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري من خلال المؤسسات الثقافية التي أسسها، ومن خلال العلماء الذين كونهم، ومن خلال الحركة التعليمية التي قام بها، وعليه فإن إشكالية دراستي تكمن في هذه الصيغة: **فيما تمثل دور المجتمع المزابي في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري؟**، وقد قسّمت هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات وهي: كيف يعرّف المجتمع المزابي؟، وفيما يتمثل التعريف الجغرافي لمنطقة مزاب؟، وكيف كانت الحياة الثقافية في مزاب أواخر العصر الوسيط وبداية العهد الحديث؟، وفيما تمثلت المؤسسات العلمية والثقافية في مزاب التي كان لها دورا علميا وثقافيا في العهد الحديث والمعاصر؟، ومن هم العلماء والنساخ الذين شهدتهم منطقة مزاب في هذه الفترة؟، وهل قام أعلام مزابيون برحلات إلى خارج منطقة مزاب في الفترة الحديثة والمعاصرة؟، ومتى بدأ المجتمع المزابي بإيفاد بعثات علمية إلى خارج مزاب؟

تتمثل أهداف دراستي في دراسة النموذج الحضاري الذي عرفت به منطقة مزاب في الفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة، من خلال التطرق إلى أحد الأسس الهامة، وهي المجالات العلمية والثقافية. إبراز مظاهر التفاعل والتكامل بين منطقة مزاب والمناطق الأخرى من الجزائر والعالم الإسلامي، وكذلك معرفة المستوى الثقافي والعلمي بين فترتين تاريخيتين مختلفتين.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على وصف الأحداث ثم تحليلها تاريخيا وعلميا. والجدير بالذكر أن موضوع الدراسة قد تعرضت إليه المصادر والمراجع المحلية والدراسات الأكاديمية، مثل: كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، وأعلام الإصلاح في الجزائر لمؤلفهما محمد علي دبوز، الذين يعتبران من أهم المصادر التي تطرقت إلى الموضوع، كما اعتمدت أيضا على كتاب بعنوان: مشايخي كما عرفتهم لمؤلفه محمد صالح ناصر، حيث أشار فيه إلى العلماء والمشايخ الذين كانوا فاعلين في الحياة الثقافية في الفترة المعاصرة، كما اعتمدت أيضا على معجم أعلام الإباضية لمجموعة مؤلفين، الذي استقيت منه معلومات في أكثر من مرة في هذه الدراسة، وأما من حيث الدراسات الأكاديمية فإني قد اعتمدت على أطروحة الدكتوراه للباحثة عائشة يطو، بعنوان: الحركة اللغوية عند الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، حيث تتضمن معلومات عن بدايات الفترة التاريخية الحديثة في منطقة مزاب. كما اعتمدت على مذكرتي للماستر بعنوان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ــ كتاباته ومواقفه السياسية ــ حيث استقيت منها معلومات عن أحد الأعلام البارزين في الفترة المعاصرة، وهو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش.

أما فيما يخص عن إجابتي للإشكالية والتساؤلات المطروحة فإني قد تبنيت الخطة الآتية: حيث ابتدأت بتعريف منطقة مزاب جغرافيا وتاريخيا، ثم تطرقت إلى بدايات الحركة الثقافية والعلمية بالمنطقة نفسها، ثم تطرقت إلى الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب في الفترة الحديثة، ثم تطرقت إلى أبرز العلماء المزابيين الذين ظهروا في الفترة الحديثة، ثم بعد ذلك تطرقت إلى المؤلفات والمنسوخات التي أقامها العلماء والنساخ، ثم تطرقت إلى البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة الحديثة، ثم تناولت أبرز العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة المعاصرة، كما تطرقت أيضا إلى البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة المعاصرة، وفي الأخير تطرقت إلى المكتبات، والمحاضر القرآنية.

منطقة مزاب جغرافيا وتاريخيا:

تشير الدراسات التاريخية والجغرافية إلى أن منطقة مزاب هي ما يعرف ببلاد الشبكة، ويطلق هذ المصطلح على هضبة صخرية كلسية تقع شمالي الصحراء الجزائرية، وتتخللها أودية عديدة، وتتجه هذه الأودية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، لتصل نهايتها إلى بحيرة تكنفها الرمال شمال غربي ورقلة[4]. (الحاج سعيد، ي. 2006: 1).

تبلغ مساحة بلاد الشبكة حوالي ثمانية وثلاثين ألف كيلو متر مربع، ويحدها من الشمال وادي بوزبير ومن الغرب وادي زرقون، وأما شرقا فإنها تمتد إلى زلفانة والقرارة، وأما جنوبا فإن تصل إلى بلاد الشعانبة. والعاصمة الحالية لمنطقة مزاب هي مدينة غرداية، التي تبعد عن الجزائر العاصمة بمسافة 600 كلم. وأما التحديد الفلكي لمنطقة مزاب فإنها تتواجد" في تقاطع خط العرض الشمالي 32°30، وخط الطول الشرقي 3°45، وارتفاعها عن سطح البحر بـ 530مترا"[5]. (الحاج سعيد، ي. 2006:1).

تتكون منطقة مزاب من سبعة قصور وهي على الترتيب التاريخي الكرنولوجي: العطف التي تأسست في سنة 402هـ/1012م، ثم تأسس بعد ذلك قصر بنورة سنة 437هـ/1045م، ثم تأسس قصر غرداية سنة 477هـ/1084م، ثم تأسس بعدها قصر مليكة سنة 576هـ/1180م، ثم قصر بني يزقن سنة 720هـ/1320م، ثم تأسس في الأخير قصر القرارة سنة 1040هـ/1630م، ويليه قصر بريان سنة 1060هـ/1650م[6]. (موهوبي، عبد ق. 2011: 118).

يعود تاريخ إعمار منطقة وادي مزاب إلى ثلاثة عشر قرنا خلت، فتوطّن المزابيين في هذه المنطقة كان منذ القديم، وإذا ما اعتبرنا أن تاريخ نشأة أول قصر وهو العطف يعود إلى عشرة قرون، وجدنا ما تشير إليه الدراسات الأثرية عن أسبقية وجود قصور أخرى قد اندثرت وهي على سبيل المثال: أغرم نتلزضيت، وأولوال[7]. (الحاج سعيد، ي. 2014:11ـ 12).

يدلنا مبارك الميلي نقلا عن ابن خلدون على إعمار المنطقة منذ القرن الرابع عشر الهجري بقوله:" وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بدين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"[8]. (الميلي، م. بـ س: 214/2). فالحركة التاريخية في هذه المنطقة قد قطعت مسار كبيرا من الزمن.

بدايات ظهور الحركة الثقافية بمنطقة مزاب:

ترجع الدراسات المهتمة بتاريخ الإباضية في المغرب الأوسط، أن منطقة مزاب قد شهدت حركية ثقافية بداية من العصر الوسيط، حيث بدأ الاهتمام بالعلم والثقافة واضحا، فبرز علماء ومشايخ أنشأوا حلقات علمية، وكان من أشهر هؤلاء الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت 440هـ)، مؤسس نظام حلقة العزابة في منطقة مزاب خلال هذه الفترة، وقد ساهم في التعليم والثقافة بالمنطقة، ويؤكد ذلك أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب قائلا:" ومن أخبار الشيخ أبي عبد الله رحمه الله: ما بلغنا أن أبا عبد الله كان يخرج للحقلة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب، منها أنه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ، واستصلاحها...وأيضا فإن بني مصعب كانوا واصلية، فعمت عليهم بركته، فرجعوا إلى دين الحق، والطريقة المرضية وذلك كان أكثر قصده في انتجاعهم وحلول رباعهم، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها"[9]. (الدرجيني، أبي ع. 1974م: 183/1 ـ 184). وقد كان لهذا الشيخ دورا كبيرا في تحول المجتمع المزابي من المذهب المعتزلي إلى المذهب الإباضي في مدة زمنية قياسية.

من العلماء والمشايخ الذي ظهروا بالمنطقة في هذه الفترة الشيخ باعيسى وعلوان الذي عاش في (القرن 5هـ/11م)، وكان من العلماء الذين تركوا أثرا كبيرا في الحياة الدينية والثقافية في أوساط المجتمع المزابي، حيث تولى مشيخة بلدة غرداية في زمانه[10]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 2/ 332).

من الشيوخ الذين تزامن ظهورهم في هذه الفترة الشيخ عبد الرحمن الكرتي المصعبي (ق6هـ/12م)، وتؤول أحد الدراسات أن يكون من تلاميذ الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، وقد كان من رواد الحركة العلمية والثقافية في زمانه ومن شيوخ المؤسسين للحلقات العلمية التي كان يقصدها الطلبة من قصور وادي مزاب[11]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 246/2).

هؤلاء الشيوخ هم نماذج من العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة التاريخية الوسيطة، كان لهم دور في تفعيل الحركة الثقافية في المجتمع المزابي، حيث هم من أسس للحركة الثقافية والعلمية لدى المجتمع المزابي لتستمر من بعدهم إلى الفترة الحديثة، والتي ظهر فيها علماء واصلوا الجهود واتبعوا النهج الذي رسمه مشايخهم السابقون.

الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب في الفترة الحديثة:

أبرز العلماء المزابيين الذين ظهروا في هذه الفترة:

من العلماء الذين عرفهم المجتمع المزابي في هذه الفترة، الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي(ت927هـ/1521م)، الذي تعود أصوله إلى جزيرة جربة التونسية، وقد قدم إلى منطقة مزاب بعد أن استنجد المزابيون بإخوانهم الإباضية في جربة التونسية بأن ينجدوهم بعالم، يحي من جديد الحركة العلمية والثقافية التي تراجعت وشهدت فتورا في تلك الحقبة[12]. (الحاج موسى، ب. 2006: 13).

كان قدومه إلى المنطقة ما بين سنتي 884هـ و889هـ، رفقة كلا من الشيخين الحاج محمد بن سعيد المعروف بالشيخ بالحاج، والشيخ دحمان[13] (الحاج موسى، ب. 2006: 16)، وبعد استقراره بمزاب باشر التعليم والتثقيف بجامع قصر غرداية، فصار يؤمه عددا كبيرا من الطلبة من مختلف قصور وادي مزاب، وقد تمكن الشيخ من تخريج دفعات عديدة من الطلبة، وكان من بين طلبته، ابنه الشيخ صالح، والشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المليكي المصعبي[14] (الحاج موسى، ب. 2006: 21).

لعل أبرز ما قام به الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي في تنشيط الحركة الثقافية في زمانه هو إحداثه لنظام هيئة التلاميذ[15] (اسماوي، ص. 2008: 459 ـ 460). حيث أدرك أنه لإعطاء الديناميكية للحركة الثقافية لا يكمن إلا في استحداث منهج جديد في التعليم، فكانت نتيجة تفكيره تكمن في إحداثه لنظام هيئة التلاميذ، وعن هذا يقول أحد الدارسين قائلا:"...فعزّز جهوده العلمية بإحداث نظام دراسي للتلاميذ يضمن استمرار الحركة العلمية وازدهارها، يعرف هذا النظام حاليا بمنظمة إروان"[16] (اسماوي، ص. 2008: 21).

كما اشتهر الشيخ بالنسخ والتأليف، فبادر إلى نسخ عدد كبير من الكتب، لأنه كان يرى أن من مستلزمات إحياء وتنشيط العلم والثقافة بالمنطقة لا يتسنى إلا وفق شروط، ومنها نسخ أمهات الكتب وتوفيرها للتلاميذ والطلبة، ومن بين ما نسخ الشيخ من الكتب أذكر: كتاب سير المشايخ[17] (اسماوي، ص. 2008: 23). وقد أحصى أحد الدارسين عدد منسوخات الشيخ ما يزيد عن خمسين مؤلفا ما بين كتاب ورسالة وقصيدة[18] (اسماوي، ص. 2008: 23).

من الشيوخ البارزين أيضا في منطقة مزاب خلال العصر الحديث الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المليكي المصعبي، الذي كان من الشيوخ الكبار في قصر مليكة فترة زمانه، وقد تتلمذ على ثلة من الشيوخ وهم:" الشيخ عمِّي سعيد الجربي، والشيخ محمَّد بن زكرياء الباروني النفوسي،

والشيخ داود بن إبراهيم التلاتي الجربي، وبامحمَّد بن عبد العزيز اليسجني، وأبو زكرياء بن أفلح، وسعيد بن علي، وحيُّو بن دودو"(19) (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

لقد واصل مشوار شيخه عمي سعيد الجربي في التدريس، وقد ترك مجموعة من المؤلفات في مختلف فنون العلم، ومن بينها: جواب لأهل عمان ـ رسالة في معنى التوحيد ـ موازين القسط[20] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

كما أسندت له مشيخة قصر مليكة، وكان يجتمع بأستاذه الشيخ عمي سعيد الجربي في يوم محدد من أيام السنة يتناقشان فيه مسائل حول العلم والدين[21] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

من الشيوخ الذين تركوا أيضا بصمتهم واضحة في مجال العلم والثقافة بوادي مزاب، الشيخ عبد العزيز الثميني (ولد سنة: 1130هـ / 1718م، وتوفي سنة 1223هـ / 1808م)، وقد اعتبر لدى الدارسين من أعظم علماء الإباضية لما له من دور كبير في الحركة الثقافية في وادي مزاب، وقد عرف بتمكنه في العلم فأسندت له مشيخة العزابة، ولكنه انعزل عن هذا المنصب الديني، وقام بالاعتكاف في منزله مدة خمسة عشر عاما لا يخرج منه إلا لضرورة اجتماعية ملحة، من أجل التأليف والنسخ[22] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2). ينظر كذلك: (سعد الله، أ. 1998: 74/2 ـ 75). ومن المؤلفات التي تركها، أذكر: التكميل لما أخل به كتاب النيل، والورد البسام في رياض الأحكام، والأسرار النورانية[23] (سعد الله، أ. 1998: 75/2). وقد قام بجهود كبيرة في ميدان التأليف والنسخ، ويؤكد ذلك أحد الدارسين بقوله: "...إذ خلف تراثا شرعيا نوعيا استطاع به أن يملأ فراغا كبيرا كان يشتكي منه إباضية الجزائر، وبذلك جلب الأنظار إليه"[24] (الشيخ بالحاج، ق.2011: 129)، كما قد تخرجت على يده مجموعة من الطلبة واصلوا المشوار الذي بدأ فيه شيخهم في ميدان العلم والثقافة.

رحالة مزابيون في العصر الحديث:

من ضمن ما تتضمنه الحياة الفكرية والثقافية في منطقة وادي مزاب الرحلات التي قام بها أعلام مزابيون صوب وجهات مختلفة من العالم الإسلامي سواء أكانت من أجل غرض علمي أو ديني، ومن هذه الرحلات أذكر:

1. رحلة المصعبي:

يعود اسم المصعبي إلى صاحب الرحلة نفسه، واسمه الكامل إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بحمان، من مواليد ثلاثينيات أو أربعينيات القرن الثامن عشر، وهو من أبرز علماء منطقة مزاب في العصر الحديث، وقد قام برحلته إلى الحجاز سنة 1196هـ/1781م، بعد أن أتم من كتابة مختصر

لكتاب الجيطالي في المناسك ليأخذه إلى الحج معه كأنيس علمي له، وكانت بداية رحلته في شهر رجب سنة 1196هـ[25] (المصعبي، إ. 2007: 40).

استغرق طريق التوجه نحو الحجاز مئة وعشرين يوما، انطلاقا من منطقة مزاب وصولا إلى الحجاز، حيث انطلق من مسقط رأسه باتجاه غرداية حيث يوجد مقام للشيخ حمو والحاج يتبرك فيه الحجاج ويدعى لهم بالسلامة والأمن في ذهابهم لتأدية مناسك الحج، ثم بعد ذلك توجه الشيخ المصعبي مع مرافقين له إلى الحج وقد قسموا طريقهم إلى محطات توقفوا فيها للاستراحة أو للمبيت، وقد وصل الشيخ المصعبي إلى البيت الحرام في السابع من شهر ذي الحجة 1196هـ، وبعد تأدية مناسك الحج قفل الشيخ راجعا مع موكبه إلى وادي مزاب، وقد وصلها في أوائل ربيع الثاني سنة 1197هـ[26] (المصعبي، إ. 2007: 54 ـ 62).

أما قد أُرِّخ في هذه الرحلة فيتمثل في ذكر الشيخ المصعبي لنصائح ومستلزمات يقوم بها الحاج في ذهابه إلى الحج، ثم بذكر ما لقيه في طريقه من الأحداث والمعترضات ومن لقيه من الأشخاص عند وصوله إلى الحج، ولذلك فإن رحلته كما قال أحد الدارسين قائلا: "...لذلك فإنه يمكن اعتبار رحلة المصعبي الشيخ إبراهيم بن بحمان من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع الجزائر وبلدان تونس وليبيا ومصر والحجاز في القرن 12هـ، 18م، فهي تسجيل حي للواقع الاجتماعي، والأدبي والسياسي، والاقتصادي...ووصف دقيق لحالة المسالك والعمران والأسواق ونقاط الماء والمسؤولين السياسيين وأنظمة الحكم وغيرها"[27] (المصعبي، إ. 2007: 64 . 65).

2. رحلة يوسف بن محمد المصعبي:

اسمه أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت1187هـ/1773م)، من أعلام قصر مليكة سافر في رحلة علمية نحو جربة صحبة والده سنة (1103هـ/1692م) واستقر فيها مدة من الزمن، أخذ فيها العلم عن مشايخها، ثم توجه نحو تونس للاستزادة من العلم، وكما ارتحل إلى منطقة لالوت بليبيا سنة 1103هـ، والقاهرة سنة 1130هـ[28] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 29).

3. رحلة محمد آزبار:

اسمه الكامل محمد بن عيسى ابن عبد الله آزبار (ولد 1301هـ/1883م) من علماء قصر بني يزقن ارتحل إلى عمان ليستزيد في العلوم النقلية والعقلية، واستقر فيها مدة كبيرة من الزمن، ثم عاد إلى مسقط رأسه مزاب وعقد حلقات علمية بالمسجد ليفيد إخوانه المزابيين بما تلقاه من العلوم في عمان، كما اصطحب معه من عمان كتبا مختلفة كانت نواة لمكتبته الثرية[29] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 34).

هذه بعض الرحلات التي شهدتها منطقة وادي مزاب في العصر الحديث، وتوجد رحلات أخرى لا يتسنى المقام لذكرها جميعا.

المؤلفات والمنسوخات:

اشتهرت منطقة وادي مزاب مثل غيرها من المناطق الجزائرية بنشاط حركة التأليف والنسخ في مختلف مجالات العلوم الشرعية والعلوم العقلية، وقد ألفت ونسخت العديد من الكتب في مجال الفقه والعقيدة والتاريخ والحساب والفلك، وغير ذلك من العلوم، وقد صنفت هذه الكتب كلا حسب تخصصها، ونذكر على سبيل المثال بعض عناوين المؤلفات والمنسوخات المتواجدة في إحدى مكاتب مزاب، وهي مكتبة البكري.

تخصص التفسير: تضمنت هذه المكتبة ضمن هذا التخصص مخطوط همیان الزاد إلى دار المعاد لمؤلفه الحاج امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الإباضي، وقد فسر في هذا المخطوط آيات لإحدى سور القرآن الكريم. ومخطوط شرح الدرر اللوامع، الموضوع في أصل حرف نافع لمؤلفه محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج[31] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 1) (يوجد الفهرس بمكتبة الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر).

تخصص علوم الحديث: وفي هذا التخصص احتوت المكتبة على الأحاديث الأربعون المروية عن النبيء صلى الله عليه وسلم وشرحها لمؤلف مجهول وقد تضمن المخطوط مجموعة أحاديث. والمخطوط الثاني بعنون كتاب في الحديث، والمخطوط الثالث بعنوان كتاب فضل الصلوات، حيث تطرق هذا المخطوط إلى فضائل الصلاة والأجر الذي ينال المسلم[32] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 3)

تخصص أصول الفقه: في هذا التخصص تضمن مخطوطات، نذكر منها على سبيل المثال مخطوط اختصار كتاب العدل لمؤلفه أحمد بن سعيد الشماخي أبو العباس، وشرح مختصر العدل لنفس المؤلف[33] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 3 ـ 4).

تخصص التاريخ: أما في هذا التخصص، فقد تضمن مخطوطات ونذكر منها: مخطوط بعنوان كتاب حديث الإسراء والمعراج لمؤلف مجهول تطرق المخطوط إلى حادثة الإسراء والمعراج، ومخطوط آخر صفات سيد الأولين والآخرين حين حضرته الوفاة تطرق هذا المخطوط إلى ذكر خاتمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومخطوط آخر بعنوان النموذج اللبيب في خصائص الحبيب لمؤلفه عبد الرحمن بن أبي بكر تطرق المخطوط إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[34] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 28 ـ 29).

تخصص علوم اللغة: فقد احتوت هذا التخصص مخطوطات في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ومن ضمن عناوين المخطوطات المنضوية في هذا التخصص، أذكر مخطوط بعنوان شرح الأجرومية لمؤلفه أبي القاسم بن يحي بن أبي القاسم بن محمد، ومخطوط بعنوان شرح أرجوزة...أبي يحي زكرياء بن أفلح

الصدغياني لمؤلفه موسى بن عامر بن يحي بن زكرياء النفوسي[35] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 31).

تخصص الشعر والنظم: وقد تضمن هذا التخصص مخطوطات تحوي أشعارا وقصائد متنوعة، ونذكر على سبيل المثال مخطوط بعنوان قصيدة كشف الغمة، في الولاية والبراءة لمؤلفه أحمد بن النضر العماني (القرن 6هـ/12م)، ومخطوط آخر بعنوان قصيدة في الفرائض لمؤلفه زكرياء بن أفلح الصدغياني، أبو يحي الجربي (903هـ) [36] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 33، 35).

هذا تطرق مختصر وموجز إلى المؤلفات والمخطوطات التي توجد في إحدى مكاتب مزاب، يعود تاريخ نشأتها إلى فترة سابقة من التاريخ حافظ عليها أصحابها، وقد قامت الجهات المختصة بفهرسة مخطوطاتها.

البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة الحديثة:

لقد شهدت منطقة وادي مزاب ظهور هذا النظام جليا بداية من العصر الحديث، حيث أرسل عدد من الطلبة المزابيين إلى خارج مزاب للاستزادة من العلم والتمكن فيه، وكانت الجهة المقصودة لهذه الرحلات جربة[37] (الباروني، ي. 1998:175). ومصر بوكالة الجاموس، وقد ورد ذلك لدى المصعبي أنه التقى بالطلبة المزابيين في وكالة الجاموس في رحلته إلى الحج[38] (المصعبي، إ .2007: 56، 62).

من أبرز طلبة البعثات المزابيين إلى مصر، أذكر: الشيخ يحي بن صالح ابن يحي الأفضلي أبو زكرياء (ت1202هـ/1788م)، الذي قصد وكالة الجاموس للتعلم بها، بعد أن قضى 12 سنة في جزيرة جربة يتعلم بها[39] (الباروني، ي. 1998: 175). وقد حضر أيضا دروسا بجامع الأزهر، وبعد أن أتم تعلمه عاد إلى مسقط رأسه بوادي مزاب وأنشأ فيه معهدا للدراسات العليا، كما نسخ عددا كبيرا من المؤلفات في رحلته هذه[40]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 406/2). وينظر كذلك: (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 33).

وقد أكدت أحد الدراسات أن عدد المزابيين بمصر ووكالة الجاموس خاصة، كان ضئيلا، وذلك بسبب بعد المسافة والصعوبة الكبيرة لاستقرار المزابيين خارج الوطن[41] (مصلح، أ. 2012: 104).

أبرز العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة المعاصرة:

1. الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش:

يعد الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة من العلماء البارزين في منطقة وادي مزاب في الفترة المعاصرة (و:1237هـ / 1821م ــ ت: 1332هـ / 1914م)، نشأ عصاميا، وكان شغوفا

كثيرا باقتناء الكتب واستنساخها متجاوزا كل الصعوبات والعوائق، كما قد اقتنى بعض خزائن كتب علماء عصره، واستفاد من محتوياتها كثيرا. جلس قطب الأئمة للتعليم والتدريس وعمره لا يتجاوز السادسة عشر عاما، ولما وصل العشرين عاما أصبح من كبار علماء مزاب وذلك لما وصل إليه من مرتب علمي. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 399/2).

أنشأ الشيخ معهدا في بني يزقن، وتولى تدريس الطلبة فيه، وقد تخرجت على يده دفعات كبيرة من الطلبة صاروا فيما بعد مجاهدين ومصلحين[42] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 399/2). بالرغم ما كان يتلقاه من تضييق وخناق من طرف الاحتلال الفرنسي[43] (سعد الله، أ. 49/1998:3). ومن هؤلاء التلاميذ أذكر: الشيخ سليمان باشا الباروني، وأخوه الشيخ يحي، والشيخ الحاج محمد إبراهيم بن عيسى الأبريكي، والشيخ عمر بن يحي والشيخ الحاج محمد بن الحاج قاسم القاضي، وغيرهم كثير[44] (دبوز، م. 2013: 360/1).

وقد ألف قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش في علوم مختلفة، ويؤكد ذلك محمد علي دبوز قائلا: "فألف في التفسير والحديث، وفي التوحيد والفقه، العبادات والمعاملات، وفي أصول التشريع، وفي النحو والصرف والبلاغة، وفي التاريخ والديانات القديمة، وفي الأنساب والمذاهب، وفي العروض، وألف في التجويد، وفي المنطق والحساب، وفي الميراث، وفي الفلك، وفي الفلاحة، وفي الطب القديم، وفي الأخلاق، وفي غير ذلك من المواضيع..."[45] (دبوز، م. 2013: 304/1).

لقد كان لقطب الأئمة دورا مهما في التنشيط الثقافي في مزاب في الفترة المعاصرة من خلال الجهود المضنية التي قدمها، وقد ارتقى إلى منصب علمي وثقافي حتى صار شيخ المشايخ بالمنطقة، وقد أدلى بدلوه في الميدان الاجتماعي بمحاربته للبدع والخرافات التي كانت سائدة أوساط المجتمع المزابي في زمانه[46] (دبوز، م. 2013: 322/1).

2. الشيخ إبراهيم بيوض:

من علماء مزاب في الفترة المعاصرة الذين كانت لهم بصمة واضحة في ميدان الفكر والثقافة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (و: 1313هـ ـ 1899م/ ت: 1401هـ ـ 1981م)، فقد نشأ في بيئة محافظة، ساهمت في تربيته وتخلقه وتكوينه، فقد التحق بصفوف العلم كأمثال جيله، اشتهر بحبه الكبير للعلم، وتمكن من حفظ القرآن واستظهاره وهو لم يتجاوز سن الثالثة عشر من عمره، وكان فكره قد سبق عمره إذ أنه كان يحضر جلسات وجهاء القوم وكبار المصلحين، التي غالبا ما تعقد في سرية تامة، وأسند إليه مسؤولية تعليم الطلبة والتلاميذ، وهو لم يتجاوز سن العشرين، الشيء الذي أهله للالتحاق بمجلس العزابة[47] (ناصر، م: 2013: 116).

لقد أدرك الشيخ إبراهيم بيوض أن إعطاء الدافعية للحركة الثقافية والفكرية بمنطقة مزاب، لا يتم إلا بإنشاء معهد للطلبة وتمكينهم من التعلم والتثقيف، وفي هذه النقطة يؤكد أحد الدارسين قائلا: "...فأنشأ معهد الشباب الذي صار فيما بعد معهد الحياة في سنة (1343هـ/1925م)، وكان يريده حصنا منيعا لنشر لغة القرآن وعلوم القرآن، وكان يتولى إدارته والتدريس فيه والمرابطة بين سواريه وعرصاته، حتى صار له شأن بعيد تجاوز حدود القطر الجزائري إلى أقطار عربية أخرى، ورودا وصدورا يستقبل البعثات، ويرسل المتخرجين إلى الكليات والجامعات العالمية"[48] (ناصر، م. بـ س: 15).

كما أنشأ الشيخ بيوض إلى جانب معهد الحياة، جمعية الحياة التي صارت المشرف الرئيسي للمؤسسات الأخرى ومن هذه الأخيرة، أذكر مدرسة الحياة الابتدائية، ونادي الحياة ومكتبة الحياة، حيث ساهمت هذه المؤسسات وغيرها في نشر التعليم والثقافة بين المجتمع[49] (ناصر، م. بـ س: 15).

إلا أن ما اشتهر الشيخ بيوض قد عرف أكثر في الحركة الإصلاحية بمنطقة مزاب، حيث عرفت هذه الأخيرة المرحلة الانتقالية في زمانه، وذلك لما شهدته من دافعية ونشاط كبيرين، ومتفاعلا مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمن هذا الإطار، وموحدا جهوده مع جهود جمعية العلماء في تأدية رسالة الإصلاح والتثقيف في المجتمع الجزائري الكبير[50] (ناصر، م. بـ س: 16، 17، 19).

3. الشيخ أبو اليقظان:

من العلماء المعاصرين الذين ظهروا بمنطقة مزاب وعاصروا فترة الشيخ إبراهيم بيوض الشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان (و: 1306هـ ـ 1888م/1393هـ ـ 1973م)، التحق بصفوف العلم كأقران جيله، وبعد أن أتم تعليمه الابتدائي، التحق بجامعة الزيتونة لمواصلة تعليمه العالي سنة 1912م، وترأس البعثات العلمية المزابية إلى تونس في تلك الفترة، وساند الشيخ بيوض في مشروعه الإصلاحي والعلمي، وكانت له بصمة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[51] (ناصر، م. 2013: 59 ـ 60).

إلا أن ما اشتهر به الشيخ أبو اليقظان وصار يقترن باسمه كثيرا جهوده في ميدان الصحافة حيث أنشأ عدة جراد جاهد بها المحتل الفرنسي، ومن أمثال هذه الجرائد أذكر: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، الأمة، الفرقان، النبراس[52] (ناصر، م. 2013: 59).

كما ألف الشيخ أبو اليقظان مؤلفات عدة، ومن هذه الأخيرة أذكر: كتاب سلم الاستقامة في ثلاثة أجزاء، وكتاب سليمان الباروني في أطوار حياته في جزئين، وكتاب ديوان أبي اليقظان، وكتاب الإباضية في شمال إفريقيا لا يزال مخطوطا، إضافة إلى ما ألف من رسائل وصحف[53] (فرصوص، أ. بـ س: 35).

رحالة مزابيون في الفترة المعاصرة:

1. رحلة القطب:

اسمه الكامل امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش من علماء الإباضية في الفترة المعاصرة، قام برحلتين حجازيتين في حياته، فالأولى قام بها سنة 1290هـ/1873م، حيث بقي في الحجاز ما يقارب سنة كاملة ودرس خلال هذه المدة كتاب السنوسية في عقائد المالكية، كما التق في هذه الرحلة بعلماء وشخصيات في الحجاز، وكما ألف أيضا في هذه الرحلة كتابا أسماه إيضاح المنطق في بلاد المشرق، وقد قدم خلال هذه الرحلة إنجازا تمثل في التدريس والتأليف والمناظرات العلمية[54] (اطفيش، م.2007: 40).

أما الرحلة الثانية فكانت سنة 1303هـ/1886م، وقد ألف في هذه الرحلة قصيدته الحجازية، ووصف في هذه طريق الذهاب والعودة وما قام فيها من أعمال وما شهد فيها من أحداث[55] (اطفيش، م.2007: 41).

2. رحلات الشيخ أبي إسحاق اطفيش:

اسمه الكامل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش (و:1305هـ ـ 1888م/ت: 1385هـ ـ 1965م)، تنقل مشرقا ومغربا، فكانت له رحلات إلى وجهات مختلفة من العالم في الفترة المعاصرة، فكانت رحلته الأولى صوب تونس سنة 1917م لغرض علمي، حيث التحق بجامع الزيتونة ليستزيد في العلم ويتمكن فيه العلوم الحديثة[56] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 58).

أما رحلته الثانية فكانت إلى مصر سنة 1923م، ولكن في هذه المرة بعد أن ابعد من تونس من طرف الفرنسيين بسبب معاداته لهم، ونشاطه في الحزب الحر الدستوري التونسي، وصارت مصر من خلال هذه الرحلة وطنه الثاني بعد مزاب[57] (شترة، خ. 2009: 9/3).

كما قام برحلتين إلى زنجبار، الأولى كانت سنة 1948م لأجل غرض علمي، وأما الثانية فكانت سنة 1960م[58] (الشيخ بالحاج، ق.2001: 104 ـ 107).

كما قام الشيخ أبو إسحاق برحلة إلى جبل نفوسة كانت سنة 1958م، من أجل غرض علمي وسياحي، وقد قام أيضا برحلتين إلى الحجاز سنة 1939م، والثانية سنة 1963م لأداء مناسك الحج[59] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 24 ـ 25).

تميز الشيخ أبو إسحاق عن غيره من رحالة مزاب في زمانه، أنه قام برحلة إلى العالم الغربي أمريكا لأجل تمثيل إمامة عمان في مجلس الأمم المتحدة[60] (كروم، أ. 2010: 22).

البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة المعاصرة:

لقد كانت تونس في الفترة المعاصرة من الحواضر الإسلامية التي احتوت على منابر العلم والتي مكنت كثيرا من طلاب العالم الإسلامي من التعلم والتثقيف، في وقت قلت فيه المؤسسات العلمية في ربوع أخرى من العالم الإسلامي، وأحكم الاستعمار الأوروبي قبضته على بلاد الإسلام، وقد اشتهر بتونس جامع الزيتونة الذي التحق به أبناء الطلبة المزابيين في أول بعثة من مزاب سنة 1917م، ليتموا فيه دراستهم، ويتعلموا ما منعوا من تعلمه في الجزائر بعد أن حارب الاحتلال الفرنسي كل ما يمت بصلة للتعليم العربي الإسلامي[61] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 24 ـ 25).

لقد ترأس البعثات المزابية إلى تونس مشايخ مزابيون، وهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم والشيخ صالح بن باعلي[62] (ناصر، م. 1980: 15). وينظر: (دبوز، م. 1978: 255/3).

وقد ساهمت هذه البعثات في بعث الحركة الثقافية والفكرية من جديد في أوساط المجتمع المزابي، بعد أن كاد التخلف الفكري يسيطر على عقول الناس.

المكتبات:

مما يمكن أن أدرجه خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة، المكتبات لما لها من ارتباط وثيق بين المرحلتين فلأن أغلب المكتبات إن لم أقل كلها كانت نواتها الأولى قد أنشأت في الفترة الحديثة واستمر وجودها إلى الفترة المعاصرة، حيث تعود أقدم خزائن الكتب بوادي مزاب كما يقول أحد الدارسين:" إلى القرن العاشر الهجري، وهي خزانة الحاج محمد بن سعيد الشهير بالشيخ بالحاج ببني يزقن، صاحبها كان قد نسخ كثيرا من الكتب خلال هذه الفترة سواء في مزاب أو في جربة"[63] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 35).

كما كانت هناك خزائن أخرى للكتب والمخطوطات وأذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر خزانة الشيخ أزبار، وهي غنية بنفائس المخطوطات وكتب هامة جدا، وقد أثرى صاحب الخزانة مكتبته بمنسوخات بخط يده التي بلغت 12 عنوانا، كما احتوت مكتبته على مخطوطات جلبها من عمان، ولما جاء ابنه من بعده زاد من إثرائها بما اقتناه من كتب مطبوعة ومخطوطات، وأما ما تتضمنه هذه الخزانة أو المكتبة من عناوين مؤلفات، أذكر: كتاب كشف الغمة الكاشف لأخبار الأمة، بخط مؤلفه، والجزء الثاني من تفسير هود بن محكم الهواري[64] (حموده، م.2011: 206، 208، 209).

كما يوجد بقصر القرارة مكتبة مهمة تحمل اسم مكتبة دار آل الشيخ بالحاج، وهي تعتبر من أقدم المكتبات في قصر القرارة وأغناها مخطوطات ومؤلفات، ويعود تاريخ تكوينها إلى القرن 18م و19م، وقد

قام صاحبها بنسخ عدد كبير من الكتب في عهده وساهم بذلك في تنوع وتعدد محتويات المكتبة من العناوين[65] (أبو بكر، ص. 2015: 216). ويقول أحد الدارسين عن هذه المكتبة قائلا:"...وهي تضم عشرات المخطوطات المهمة وأمهات الكتب في شتى فنون العلم الشرعية والعربية من فقه وتفسير وعقيدة وسيرة وحديث وأصول ولغة وتاريخ لأكابر علماء الإسلام وعلماء الإباضية..."[66] (أبو بكر، ص. 2015: 216).

من المكتبات التي اشتهرت أيضا في وادي مزاب تباعا على اشتهار صاحبها، مكتبة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، التي احتوت على كتب ومخطوطات في مختلف العلوم والمعارف، وهي من أشهر المكتبات في وادي مزاب وكان طلبة قطب الأئمة يستفيدون منها كثيرا، وعن هذه المكتبة يقول أحد الدارسين قائلا: "...ولا غرو فهي مكتبة عالم اجتماعي...اتصل بالجميع واتصلوا به، ولم يقتصر تواصله على من في الجوار، بل تجاوز حدود الوطن شرقا وغربا، وأهم مظهر للتوصل، التوصل بكتب العلم، بمختلف الصيغ بين الطرفين...إهداء وتوقيفا واستعارة واستنساخا وابتياعا، وما أشبه ذلك كله"[67] (حموده، م. 2011: 132).

وقد تعددت خزائن الكتب والمخطوطات من حيث العدد ومن حيث التنوع في التخصص، فمنها ما قد تمت فهرسته وتصوير مخطوطاته من قبل الجمعيات[68] المختصة في ذلك، ومنها ما لم يتوصل إليه بعد.

وأغلب الخزائن والمكتبات هي عند أهلها تحت الحفظ والصون، وقد فهرست ليعلم ما تتضمنه من كتب ومخطوطات، وعن هذه النقطة يؤكد لنا أبو القاسم سعد الله قائلا: "ولابد لنا من التنويه بمكتبات ميزاب التي كانت ببني يزقن بالخصوص شهيرة بها والتي حافظ عليها أصحابها كعائلتي الثميني واطفيش، بكل غيرة وعناية"[69] (سعد الله، أ. 1998: 310/1).

المحاضر القرآنية (الكتاتيب):

من ضمن ما يندرج في التنشيط الثقافي للمجتمع المزابي في الفترتين التاريخيتين الحديثة والمعاصرة، وعرف الاستمرارية في الحركة التاريخية، المحاضر القرآنية، أو الكتاتيب القرآنية، والتي ساهمت بدور فعال في الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب، وكما تعتبر الخطوة الحقيقية في تكوين البنية القاعدية العلمية والثقافية للتلميذ، ومنطلقا له نحو التمكن في الدين والعلم والثقافة، ويعرفها أحد الدارسين بقوله: "تمثل المستوى الأول من التعليم، حيث يحفظ فيها الصبي ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ويلقن مبادئ العلوم العربية والشرعية وهي بالذات ما يعرف بالكتاب"[70] (الشيخ بالحاج، ق. 2011: 106).

بعد أن يختم التلاميذ القرآن ويستظهرونه في الكتاتيب، يتم ترقيتهم إلى مرحلة تعليمية أخرى، هي حلقة إروان وهي من أحد أنظمة مجلس العزابة، لتلقي دروس في العقيدة والفقه وعلوم العربية، بالإضافة إلى ما يقدم من دروس في المسجد من طرف الواعظ والمرشد، كما يقوم بعض كبار شيوخ العزابة بفتح مكتباتهم لأعضاء حلقة إروان ليستزيدوا في العلم، ويتفقهوا في الدين أكثر[71] (بكلي، ع. 2009: 83).

ويعود تاريخ ظهور المحاضر القرآنية في وادي مزاب إلى القرن الخامس الهجري، واستمر من ذلك الوقت إلى الزمن الراهن، وقد عرف في العصر الحديث نشاطا وحركية كبيرة، إلا أنه بعد أن زحف الاحتلال الفرنسي على المنطقة قام بالتضيق على هذه المكاتيب، كما حارب التعليم العربي الإسلامي في باقي القطر الجزائري[72] (بكلي، ع. 2009: 83 ـ 84). وينظر كذلك: (دبوز، م. 2013: 117/3).

وتتواجد هذه المحاضر القرآنية غالبا بجوار المسجد ويلتحق بها تلاميذ من مختلف الأعمار ومن مختلف الطبقات لا فرق بين واحد وآخر، ويتم فيها تعليم القراءة والكتابة ورسم وتحفيظ القرآن، والعقيدة الحديث النبوي وكل ما يتصل بالصلاة[73]، ويؤكد هذه النقطة أحمد توفيق المدني قائلا: " المحضرة في عرفهم عبارة عن كتاب للإملاء وتعليم الخط وحفظ القرآن العظيم ودراسته...وسميت بذلك لأنها تحضر الصبي وتهيئه للدخول في زمرة التلاميذ لتلقي العلوم، وهي تحت إدارة أحد أعضاء العزابة يعرف بالفقيه..."[74] (المدني، أ. بـ س: 118 ـ 119).

خلاصة:

ما يمكن قوله في نهاية هذه الدراسة أن المجتمع المزابي كان له دور معتبر في تنشيط الحركة الثقافية بالجنوب الجزائري في فترة التاريخ الحديث والمعاصر، ولم يمنع الإقليم الجغرافي لمنطقة مزاب الصعب، والمتمثل في الصحراء، من حركية العلم والفكر وتحدي الصعوبات والعوائق الطبيعية والبشرية، بل تم تحدي كل هذه العوائق وغيرها، حتى كادت منطقة مزاب أن تضاهي مدن الجزائر الكبرى كبجاية وتلمسان وقسنطينة، في ميدان العلم والثقافة، إلا أن النهضة العلمية في المنطقة كان قد غلب عليها طابع العلوم النقلية (العلوم الشرعية) على العلوم العقلية (العلوم الدنيوية)، ولكني أقول أنها بالرغم من كل هذا فإنه قد حق لها أن تملك حق المرجعية الدينية والفكرية.

وختاما أريد أن أستحضر جزءا من كلمة المؤرخ أبو القاسم سعد الله التي قالها بعد أن زار منطقة مزاب في بداية التسعينيات بقوله: "عندما تتبارى المدن والنواحي الجزائرية في ميدان العلم والأدب وحلبة العروبة والإسلام ومضمار الوفاء لسدنة هذه الثوابت، ستقف ميزاب في الطليعة بدون منازع..."[75] (سعد الله، أ. 2013: 93).

قائمة البيبليوغرافيا

الكتب:

1. إبراهيم بحاز ومحمد باباعمي وآخرون: 2009م، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، ج2، ط خ، الجزائر، عالم المعرفة.
2. أبو القاسم سعد الله، 2013م، حفل في ميزاب، ضمن كتاب: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، إع. محمد صالح ناصر، ط2، الجزائر، مركب المنار.
3. أبو القاسم سعد الله: 1998م، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
4. أحمد توفيق المدني بـ س، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، ط1، الجزائر.
5. أحمد بن مهني بن سعيد مصلح، 2012م، الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجا)، ط1، الكويت، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية.
6. إبراهيم محمد طلاي، بـ س، المدن السبع في وادي ميزاب، بـ ط، الجزائر، جمعية التراث لبني يزقن.
7. أحمد محمد فرصوص، بـ س، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، بـ.ط الجزائر، دار البعث.
8. بشير بن موسى الحاج موسى، 2006م، الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي الشهير بالشيخ عمي سعيد (ت927هـ/1521م)، ط2، الجزائر، مؤسسة الشيخ عمي سعيد.
9. الحاج أحمد كروم، 2010م، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ـ العالم العامل ـ، ط1، الجزائر، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث.
10. يوسف بن أمحمد الباروني، 1998م، جزيرة جربة في موكب التاريخ، تح. سعيد بن يوسف الباروني، بـ.ط، تونس، بـ د ن.
11. يوسف الحاج سعيد، 2006م، تاريخ بني مزاب ـ دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ـ، ط2، الجزائر، بـ. د. ن.
12. يوسف الحاج سعيد، 2014م، الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ، ط2، الجزائر، المطبعة العربية.
13. مالك بن نبي، 2000م، مشكلة الثقافة، تر. عبد الصابور شاهين، ط4، سورية، دار الفكر.
14. محمد علي دبوز، 2013م، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، ط1، الجزائر، عالم المعرفة.
15. مبارك بن محمد الميلي، بـ س، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، بـ ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
16. مصطفى ابن ادريسو وعيسى بوراس وآخرون، 1994م، مخطوطات مكتبة البكري (الشيخ عبد الرحمن بكلي)، بـ.ط، الجزائر، جمعية التراث.
17. محمد صالح ناصر، 2013م، مشايخي كما عرفتهم، ط2، الجزائر، دار ناصر للنشر والتوزيع.

18. محمد صالح ناصر، بـ س، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، بـ ط، الجزائر، مكتبة الريام.
19. محمد صالح ناصر، 1980م، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ب ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
20. محمد علي دبوز، 1978م، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، ط1، الجزائر، مطبعة البعث.
21. عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني، 2011م، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، بـ ط، الجزائر، دار البصائر.
22. عبد الوهاب بكلي، 2009م، الشيخ القرادي الحاج أيوب إبراهيم بن يحي ـ آثاره الفكرية ـ، ط2، الجزائر، جمعية النهضة.
23. صالح بن عبد الله أبو بكر، 2015م، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882م ـ 1921م، ط1،الجزائر، جمعية التراث.
24. صالح بن عمر اسماوي، 2008م، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، ج2، ط1، الجزائر، مطبعة الفنون الجميلة.
25. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، 2011م، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1157هـ ـ 1744م إلى 1382هـ ـ 1962م، ط1، الجزائر، جمعية التراث.
26. قاسم الشيخ بالحاج، 2001م، مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار، ب ط، الجزائر، منشورات التبيين الجاحظية.
27. الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،1974م، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. إبراهيم طلاي، ج1، بـ ط، الجزائر، مطبعة البعث.
28. الشيخ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي، 2007م، رحلة المصعبي، تح وتع. يحي بن بهون حاج امحمد، بـ.ط، الجزائر، وزارة الثقافة.
29. الشيخ امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش الشهير بقطب الأئمة (1238هـ ـ 1821م/1332هـ ـ 1914م)، 2007م، رحلة القطب، در وتح. يحي بن بهون حاج امحمد، ط.1، الجزائر، ب.د.ن.
30. خير الدين شترة، 2009م، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900 ـ 1956م)، ج3، ط خ، الجزائر، دار البصائر.

المقالات:

1. يحي بوراس، 2013م، الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9 ـ 10هـ/15 ـ 16م مخطوط أجوبة الشيخين سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا، مجلة المنهاج، ع2، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، الجزائر.
2. مصطفى بن الحاج بكير حموده، 2011م، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج محمد ابن سعيد بن محمد بن سليمان الشهير بـ: الشيخ بالحاج من علماء القرن 10 الهجري، مجلة المنهاج، ع1، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، الجزائر.

الرسائل الجامعية:

1. محمد بوسعدة، 2014 ـ 2015م، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ـ كتاباته ومواقفه السياسية ـ (1305 ـ 1385هـ/1888 ـ 1965م)، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، الجزائر.
2. عائشة يطو، 2009 ـ 2010م، الحركة اللغوية عند الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، أطروحة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.